

سورة الزمر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30))

شرح الكلمات:

(إنك ميت): أي مقضي عليك بالموت في وقته.

(وإنهم ميتون): أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم.

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} نزلت لما استبطأ المشركون موت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي لا شماتة في الموت إنك ستموت يا رسولنا ويموتون.

وَقَدْ مَ لَذِكْ تَذَكُّرُهُمْ بِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ آخِرُ مَا يُدْكَرُ بِهِ السَّادِرُ فِي غُلُوِّهِ إِذَا كَانَ قَدْ اغْتَرَّ بِعَظَمَةِ الْحَيَاةِ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِي اخْتِيَارِ طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، وَهَذَا مِنْ انْتِهَازِ الْقُرْآنِ فُرْصَ الْإِرْشَادِ وَالْمَوْعِظَةِ.

و«إنك» خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم «ميت وإنهم ميتون» ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته صلى الله عليه وسلم.

يا من أراد العبرة من وفاته صلى الله عليه وسلم! فأعظم عبرة أن تتجده وأن تستقيم على مبدأ لا إله إلا الله، وأعظم موعظة وأعظم نصيحة أن تأخذ ميراثك وحظك من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كانت تركته أموالاً، ولا سيارات، ولا قصوراً، ولكن قرآن وسنة فأكبر عبرة أن تنقذ نفسك من غضب الله، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب: 21].

والعبرة الأخرى: أن تعلم أن قضية التوحيد أخطر قضية في حياة الإنسان، كان ينادي بها صلى الله عليه وسلم قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وفي حياته وفي مماته، في سكرات الموت يقول: لا إله إلا الله، وفي سكرات الموت يقول: (لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

والعبرة: أن الرسالة باقية، وأن هذا الدين لا يموت، قد يمرض أهله، ولكنه لا يمرض، لا تصيبه حمى أبداً، لأنه دين محفوظ من عند الله، قال الله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر: 9].

وعبرة أخرى: وهي أن الدنيا تافهة وحقيرة، فعجباً لعبادها! وعجباً للساجدين لها! وعجباً لمن يركع عند أبوابها! أما اتعظوا برسول الله صلى الله عليه وسلم؟! أما أخذوا درساً من رسالته؟ أما سمعوا ما فعل يوم ما ترك إلا الجميل والعمل الصالح؟

لا نقول للناس: اتركوا الأموال، واخرجوا من القصور، ولا تركبوا السيارات، ولكننا نقول: اسكنوا في القصور، واجمعوا الأموال، واركبوا السيارات، ولكن لا تنسوا نصيحتكم من الحي القيوم، اذكروا حفرة ضيقة، اذكروا لقاءكم عند الله يوم تأتون حفاة عراة غرلاً بهماً، اذكروا يوم يقول الله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ [الأنعام: 94]:

وعبرة أخرى: أن المسلم لا يهتم ولا يشغله عن الله شاغل، ومن شغله عن الله شاغل شغله الله، وطبع الله على قلبه وأنساه ذكره، فالرسول صلى الله عليه وسلم على كثرة أعماله وأشغاله، وعلى كثرة ما ينوبه من أغراض وأعراض ما نسي الله لحظة واحدة، حتى في سكرات الموت يقول: لا إله إلا الله.

وعبرة أخرى تؤخذ من سياق وفاته صلى الله عليه وسلم: وهي أن الموحّد حقاً لا يحتج بالأحداث، لأنه يعيش لله ويموت لله ويبعث إلى الله.

فإذا كان الموت هو مصيبة، وإذا كان الانتقال إلى الله هو رزية؛ فما بالكم يا أحيال محمد صلى الله عليه وسلم، ويا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم بحادث وفاته عليه الصلاة والسلام؟! بلّغ الرسالة، واجاهد في الله، وقام الليالي منذ قال الله له: يَا أَيُّهَا

الْمُرْسَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا [المزمل: 1-2] فو الله ما ارتاح ثلاثاً وعشرين سنة، قام فما ارتاح، ووقف فما جلس، سهر وعانى الجلال والجهد وفي توصية العباد، ونصحهم إلى الله عز وجل، ولما وقف بعرفة حوله أحبابه ومحبه وأصحابه وأقربوه، كلهم يرى فيه القدوة والأسوة، وكلهم يرى فيه الأب الحاني، والأخ العاطف، والمشفق الناصح، والصادق الأمين الذي أنقذهم الله به من الوثنية، وقف وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه قوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة: 3] فثلاها على الناس، وعلم الناس أن فحوى الخطاب ولسان الحال يقول: إنك ميت فتأهب، وإنك مرتحل فتجهز، وإنك منتقل فودع أصحابك، فيقول عليه الصلاة والسلام بعدها: (يا أيها الناس: لعلي لا أراكم بعد هذا العام) والله ما رآهم بعد ذاك العام، فإذا البكاء وهم واقفون في هذا الصعيد، وإذا دموع الحزن تنهمر..

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظم هذه المصيبة التي حلت بالمسلمين فقال: ((يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمّتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي)) [ابن ماجه (1599)]، قال السندي: "((فليتعز)) ويحفظ على نفسه مؤونة تلك المصيبة بتذكر هذه المصيبة العظيمة، إذ الصّغيرة تضمحل في جنب الكبيرة فحيث صبر على الكبيرة لا ينبغي أن يبالي بالصّغيرة". [حاشية السندي على ابن ماجه (1599)]

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (193)



قوله من تفسير سورة الزمر الآية 30

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها (م عزمي إبراهيم عزيزم)

8- وفاته صلى الله عليه وسلم ليست كوفاة سائر الناس، ولا كسائر الأنبياء؛ إذ بموته صلى الله عليه وسلم انقطعت النبوات، وانقطع خبر السماء ووحى الله عن الأرض.

10- إن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ودع الأحياء والأموات، قال عقبة بن عامر: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على قتلى أحد صلاة الميت بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم صعد المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط لكم، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدهم الحوض، فإني والله أنظر إلى حوضي الآن من مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتلوا، فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم) قال عقبة: وكانت آخر نظرة نظرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر. أخرجه البخاري.

11- مصيبة المسلمين بالرسول -صلى الله عليه وسلم- ليست مثل المصائب بالآباء والأمهات ولن تأتي مصيبة بعدها أعظم منها، ولن يأتي بعده -صلى الله عليه وسلم- ولم يأت قبله من هو خير منه للبشرية، فهو أفضل خلق الله على الإطلاق.

12- إن مما يكشف الكرب عند فقد الأحبة التأمل والتأمل والتدبر والنظر في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ففيهما ما تقر به الأعين، وتسكن به القلوب وتطمئن له تبعاً لذلك الجوارح مما منحه الله، ويمنحه لمن صبر ورضي واحتسب من الثواب العظيم والأجر الجزيل، فلو قارن المكروب ما أخذ منه بما أعطى لا شك سيجد ما أعطي من الأجر والثواب أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة ولو شاء الله لجعلها أعظم وأكبر وأجل، وكل ذلك عنده بحكمة وكل شيء عنده بمقدار والله أعلم....

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

- 1- تقرير أن كل نفس ذائقة الموت.
- 2- أن كلنا عبيد لله عز وجل، والله وحده الباقي، وهو الذي سيحاسبنا جميعاً، وهو الذي سيوقفنا أمام أعمالنا، لماذا فعلتم؟ لماذا لم تفعلوا؟
- 3- الموت حق، فالأنبياء ماتوا، والمؤمنون ماتوا، والكفار ماتوا، والأغنياء ماتوا، والفقراء ماتوا، والأصحاء ماتوا، والمرضى ماتوا، والأقوياء ماتوا، والضعفاء ماتوا، والظالمون ماتوا، والمظلومون ماتوا، وكل مخلوق يموت.
- 4- كان السلف إذا آنسوا من قلوبهم قسوة تذكروا الموت والقدر على الله وما بعد الموت..
- 5- أن الموت سبيل كل حي، فلا أحد كائنًا من كان سيخلد في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر: 30].
- 6- زهده عليه الصلاة والسلام في هذه الحياة الدنيا، ورغبته في الآخرة، ففي صحيح البخاري من حديث عمرو بن الحارث، قال: "ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة" [19]. ل إنه عليه الصلاة والسلام: توفي ودجره مرهونة عند يهودي بقلقين صاعاً من شعر [20].
- 7- أن موته عليه الصلاة والسلام من أعظم المصائب، ولن يتلى المسلمون بمصيبة أعظم من وفاته، روى الدارمي في سننه من حديث ابن عباس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها من أعظم امصائب" [21] ليكون ذلك تسلياً له في مصيبتة.